Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية العدد (101) المجلد (2) ايلول 2024

تقنيات الزمن في رواية (خَطَأ مَقْصُود) لمحمد صابر عبيد

م..م عبد الكريم ثامر عبد رحيم
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

Abstract

In this research, we discussed the techniques of time in the novel An Intentional Error by Muhammad Saber Ubaid. The concept of narrative time was introduced, and we reviewed the most important critical opinions contained in it, and we studied the paradox of time, such as retrieval and anticipation. We also studied the temporal rhythm, of slowing down or speeding up the narrative, while citing selected places from the novel. One of the most important results we reached was that time differs in the novel from time outside it. Narrative time relates to the novel's characters' sense of time according to the order of events in the context of the time in which the novel takes place, just as the reader's sense of his or her real time. Time techniques relate to the concept of narrative time. It is based on the character's ability to restore his past or anticipate the event by anticipating the future, which is related to the character who resembles his counterpart in reality. As for temporal rhythm, it relates to the author who has the ability to slow down or speed up the narrative. The events of the novel were related to the conditions of Iraq in the modern era, which is the axis that dominated the events of the novel. The author dealt with the practices of the Islamic State, known in the media as (ISIS), and its policies in the city of Mosul and other areas that were subject to the organization's rule. The author relied on the retrieval technique in the novel. To restore past events that were connected to the narrated event, which the author used to address the point of view of those subject to the rule of ISIS, and to highlight their views regarding its tyrannical authoritarian practices.

Email:

Published: 1- 9-2024

Keywords: تقنيات الزمن - رواية خَطَأ مَقْصُود- محمد صابر عبيد- الاسترجاع- الاستباق.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

تناولنا في هذا البحث تقنيات الزمن في رواية خطأ مقصود لمحمد صابر عبيد. فجاء التعريف بمفهوم الزمن الروائي، واستعرضنا أهم الآراء النقدية الواردة فيه، ودرسنا المفارقة الزمنية كالاسترجاع والاستباق.كما تناولنا بالدراسة الإيقاع الزمني، من إبطاء السرد أو تسريعه، مع الاستشهاد بمواضع مختارة من الرواية. وكانت من أهم النتائج التي توصلنا إليها:أنَّ الزمن يختلف في الرواية عن الزمن خارجها؛ إذ يتعلق الزمن الروائي بشعور الشخصيات الرواية بالزمن وفق ترتيب الأحداث في محيط الزمن الذي تقع فيه الرواية، تمامًا كشعور القارئ بزمنه الحقيقي. وتتعلق تقنيات الزمن بمفهوم الزمن الروائي؛ إذ تقوم على قدرة الشخصية على استعادة ماضيها أو استباق الحدث بتوقُّع للمستقبل، وهو ما يتعلق بالشخصية التي تشبه نظيرتها في الواقع.أما الإيقاع الزمني، فإنه يتعلق بالمؤلف الذي تكون له القدرة على إبطاء السرد أو تسريعه. وقد تعلَّقت أحداث الرواية بأحوال العراق في العصر الحديث، وهو المحور الذي سيطر على أحداث الرواية، فتناول المؤلف ممارسات تنظيم الدولة الإسلامية المعروف إعلاميًّا باسم (داعش)، وسياساتها في مدينة (الموصل) وغيرها مما خضع لحكم التنظيم. واعتمد المؤلف على تقنية الاسترجاع في الرواية؛ لاستعادة أحداث ماضية تعالقت مع الحدث المسرود، وهو ما وظفه المؤلف لتناول وجهة نظر الخاضعين لحكم تنظيم الدولة، وإبراز وجهات نظرهم إزاء ممارساتها السلطوية المستبدة.

تمهيد:حول مفهوم الزمن الروائي

الزَّمن هنا ليس الزَّمن المعروفَ، والذي يُقاس بالسَّاعة، بل هو زمنٌ وهميٌ، ويُعنى بقياس "المدة الزمنية التي تُغطِّيها المواقف والأحداث الممثلة [1].

ويرى (جينيت) أن الترتيب الزمني لا بد أن يدرس على ثلاثة مستويات: "الصلات بين الترتيب الزمني للتابع الأحداث في القصة، والترتيب الزمني الكاذب لتنظيمها في الحكاية، والصلة بين المدة المتغيرة لهذه الأحداث، أو المقاطع القصصية والمدة الكاذبة (في الواقع– طول النص)، لروايتها في الحكاية، أي: صلات السرعة، وأخيرًا: صلات التواتر، أي بعبارة تقريبية فقط، العلاقات بين قدرات تكرار القصة، وقدرات تكرار الحكاية"[2].

ويرى (موير) أن "العالم الخيالي للرواية الدرامية يقع في الزمان، وأن العالم الخيالي للرواية الشخصية يقع في المكان، ففي الأولى، باختصار، يقدم لنا الكاتب تحديدًا عابرًا للمكان، ويبني حدثه في نطاق الزمان، وفي الثانية يفترض الزمان، فيكون الحدث الزماني إطارًا زمنيًّا ثابتًا، يوزع دائمًا، ويعدل مرة بعد أخرى في نطاق المكان، فالثبات والخط الدائري في حبكة رواية الشخصية هما اللذان يكسبان الأجزاء تناسبها ومعناها"[3].

وبطبيعة الحال، فإننا نشعر بالزمن الحقيقي بناء على ما يقع من أحداث تترتب بصورة معينة في حدود متقاربة أو متباعدة، فينشأ لدينا شعور بالقِصَر الزمني أو التطاول الزمني، وهو ما لابد أن يوجد في الرواية؛ باعتبار أنها تتناول أحداثًا تتشابه مع نظيراتها في الواقع.

وعن علاقة الشخصيات بالزمان والمكان، يقول (موير): "وقيم رواية الشخصية اجتماعية، أما قيم الرواية الردية ففردية، أو عامة حسب تقديرنا، فنحن في النوع الأول نرى شخصيات تعيش في مجتمع، ونرى في النوع الثاني أفرادًا يتحركون من بداية إلى نهاية، وكلا هذين النموذجين من الرواية، لا يتعارضان ولا يتمم أحدهما الآخر، بل هما طريقان متميزان في رؤية الحياة، : الفرد في الزمان، والمجتمع في المكان"[4].

ويرى (جيرار جينيت) أن الزمن الروائي ينقسم إلى: "الزمن المروري، وزمن الحكاية (زمن المدلول وزمن الدال)، وهذه الثنائية لا تجعل الالتواءات الزمنية كلها التي من المبتذل بيانها في الحكايات ممكنة فحسب، فثلاث سنوات من حياة البطل ملخصة في جملتين من الرواية، أو في بضع لقطات من صورة مركبة سينيمائية (تواترية)، بل الأهم أنها تدعونا إلى ملاحظة أن إحدى وظائف الحكاية هي إدغام زمن في زمن آخر"[5].

من هنا، فالزمن الروائي ليس هو الزمن الذي يعيشه القارئ، بل الزمن الذي تعيشه الشخصيات في محيط الزمن الذي تقع أحداث الرواية فيها، ومن ثم، كان مصطلح (الزمن النفسي) للرواية، مما أطلقه (جيرار جينيت) مقودا به ما يشعر به القارئ من ترتيب الأحداث بصورة معينة تشبه شعوره بزمنه الخارجي، فيكون ماضي الشخصيات مشابها لماضيه، وحاضرها لحاضرها، واستعادتها لذكريات الماضي كاستعادته وهكذا.

المبحث الأول: المفارقة الزمنية

المطلب الأول: الاسترجاع

ويسميه (جينيت): الحكاية الأولى، ووظيفته إكمال الحكاية الأولى، ووظيفة الاسترجاع (غيرية القصة)، وهي الاسترجاعات الداخلية التي تتناول خطًّا قصصيًّا، وبالتالي، مضمونًا قصصيًّا، مختلفًا عن مضمون الحكاية الأولى (أو مضامينها)، إنها تتناول، بكيفية كلاسية جدًّا، إما شخصية يتم إدخالها حديثًا، ويريد السارد إضاءة سوابقها... وإما شخصية غابت عن الأنظار منذ بعض الوقت، ويجب استعادة ماضيها قريب العهد"[6].

وتقسم (آمنة يوسف) مستويات الاسترجاع إلى:

- الاسترجاع الخارجي: الذي يقع قبل بداية الرواية
- الاسترجاع الداخلي: الذي يقع في ماضٍ لاحق لبداية الرواية

- الاسترجاع المزجي: الذي يمزج بين النوعين السابقين[7]

ونلاحظ أن (محمد صابر عبيد) قد وظف الاسترجاع لتهيئة المتلقي لأحداث الرواية، وتناول البيئة الزمانية والمكانية للشخصية الرئيسة (عبد الرزاق عيد عبد السلام الساعاتي) الذي تناول بالوصف موقع محله لتصليح الساعات في مدينة الموصل، بجوار جسرها العتيق:

"لا يبعد المحل كثيرًا عن الطرف الأيمن من جسر الموصل الحديدي الذي يُسمَّى: الجسر القديم على مقربة من أشهر سوق سمك نهري في الموصل،يقصده أهل المدينة وزوَّارها لشراء أنواع الأسماك أو تناولها في مطاعم شعبية صغيرة أُعِدَّت لهذا الغرض ... لكن قنابل الأمريكان حطمت هذا الجسر، وقطَّعت أوصاله لفصل الجانب الأيسر عن الأيمن؛ كي يعيق حركة الإرهابيين الدواعش، وتنقلهم بين الجانبين في أثناء قيام القوات العراقية بتحرير المدينة من سيطرتهم"[8].

وكان لتقنية لاسترجاع وظيفتها لإبراز ماضي المدينة، وما كانت عليه من نشاط واستقرار وحاضرها البغيض الذي حمل في طياته ملامح الاضطراب والفوضى، فضلًا عن الإرهاب الديني المسلَّح الذي تمثَّل في تنظيم (داعش الإرهابي)، وسعيه للسيطرة على مدينة الموصل وما حولها تحت مزاعم (الخلافة الإسلامية) ودولتها الناشئة.

اعتمدت الفقرة على المفارقة الزمنية التي ركزت على محورين:

الأول: بعيد زمنيًّا انخرط فيه السارد عن زمن السرد الآني لرصد مظاهر الحياة في مدينة الموصل، وحركة السكان، وتجلى أعلاه شهرة مدينة الموصل بالأسماك، مما عكس منحى أنثروبولوجيًّا يُعنى بحرفة الصيد التي اشتغل بهها كثيرون، ومثَّلت مصدرًا للدخل لدى عديد من الأسر العراقية.

الثاني: مرتبط بزمن السرد الآني الذي ارتدَّ فيه السارد إلى زمن ليس ببعيد يرصد الصراع المسلح بين القوات الأمريكية، وجيش تحرير العراق من ناحية، وتنظيم داعش من ناحية أخرى، على النحو الذي قوض أركان هذه المهنة، فأغلقت المحال التي كانت تقدم وجبات الأسماك، وفقدت المدينة قدرتها على جذب الزوار من خارج المدينة.

كان لتلك المفارقة بين حالتي: الرواج والكساد ارتباط بالتقنية الزمنية التي اعتمدت على الاسترجاع الزمني القريب والبعيد، وكأن السارد يؤكد للقارئ تأثره، كنموذج لسكان المدينة، بما حل بها من خراب، وفضح الممارسات المتطرفة المسلحة التي عانى معها السكان.

كما كان للاسترجاع وظيفته في تتناول جذور الصراع قديمًا لتطال النسيج المجتمعي العراقي، كقضية الأكراد الذين ناوروا الدولة لعقود:

"قاد هذا الهجوم المباغت قائد عسكري شهير من (البيشمركة)، يسمَّى: عيسى سوار، وكان (آمر هيز)، كما يصنَّف في ثقافة المراتب العسكرية للبيشمركة استثمر وقت الغروب، وهاجم بالقوة

العسكرية التي يقودها مضرب شركة نفط (عين زالة)، وسيطر عليها تقريبًا، وأخذ معه كثيرًا من العمال أسرى مع مهندس إنجليزي"[9].

واقترن الاسترجاع بالفعل الماضي (قاد) في صدارة الفقرة، ومثَّل ذكرى سرد فيها السارد ما يتعلق بالفتنة الطائفية التي عصفت بالعراق، بلغت درجة الاقتتال المسلح، واحتجاز المدنيين كرهائن، مما أنذر باندلاع حرب أهلية موسَّعة مهَّدت للطرف الأقوى المدعوم خارجيًّا (تنظيم داعش) من السيطرة على مقاليد الأمور.

ومثلت سوء الأحوال السياسية مناخًا مثاليًّا لإفراز الإرهاب والعنف الطائفي[10]، على النحو الذي انعكس على المواطن العراقي، الذي بات يعاني على الصعيد السياسي، من تمزيق الوطن، وتحوله إلى مسرح للصراع العسكري من قِبَل الميليشيات المتصارعة، فضلًا عن الغزو الأمريكي الذي عصف بكيان الدولة، تاركًا بؤرة الصراع تلتهم الشعب العراقي بلا هوادة.

كما لجأ السارد للاسترجاع مقرونًا بنقد ثقافي لظاهرة (ترييف الموصل)، بمعنى هجرة أبناء إلى المدينة، وهو ما رفضه سكانها:

"**المدينة، بطبيعتها الحضارية الرافضة لما يهدِّد مدنيتها وأخلاقياتها وأعرافها القائمة على رؤية مؤسساتية خاصة، لا تقبل القادمين من الأرياف المحيطة، ولا تمنح نفسها لهم بسهولة... في حين يعتقد الريفيون أن هذه القضية ترفد المدينة بإمكانات كبيرة وواسعة يستحيل الحصول عليها من دونهم.**

وبعد الزحف الريفي المبين على المدن العراقية كافة، وفرض نظرية الأمر الواقع، قلَّل ذلك من هذه الحساسية، وصارت المدن الكبيرة مجرد أرياف كبيرة، لا فرق فيها بين الحضري والريفي إلا ما ندر"[11].

وأكد المؤلف تغير الطبيعة السكانية لمدينة (الموصل)، وزحف أبناء الريف عليها وعلى غيرها من المدن الكبيرة مما عزز فرص الاحتقان المجتمعي، وتقويض الاستقرار والتعايش بين أبناء المجتمع الواحد، ومن ثم، اقترنت تقنية الاسترجاع بظاهرة اجتماعية فرضت نفسها على الواقع، وكرست لشقاق اجتماعي تمثل في تباين الأعراف المجتمعية بين القادمين من الريف ونظرائهم في المدينة، كنمط ثقافي قوبل بالاستهجان، وهو ما وظفه المؤلف للتأكيد على أنالهوية لها علاقة وثيقة لا بوجود الفرد فحسب، بل الجماعة البشرية بأكملها، وهو ما يحيل على أهمية الهوية الثقافية في وجود الفرد ونظرته للآخر؛ كون الهوية الثقافية تتماسّ مع "كل مكتَسَب مشترك بين أفراد الجماعة، فضلًا عن كل أشكال التعبيرات المختلفة، والفعاليات المتنوعة التي تنبثق عن النظام المعرفي المكتسب"[12].

وجاء الاعتماد على الاسترجاع في سياق تناول المؤلف شخصيات أسرة (عبد الرزاق) الساعاتي، وكأنه يتناول الحدث من زوايا متعددة، ومن ذلك الاسترجاع الخارجي لمقتل الملك (فيصل الثاني)، والذي أُعجِبت به (سمر) ابنة (عبد الرازق) إعجابًا بلغ حد الافتتان:

"قُتِل الملك الشاب المغدور وهو في عمر الزهور، وربما لو عاش حتى الآن لكان هو ملِك العراق إلى هذه اللحظة، ولكنتُ عملتُ المستحيل كي ألتقي به، وأعبِّر له عن حبي له، وشغفي بنوازع أجدها صافية الصفاء كله، ولكنهم للأسف قتلوه، ومنذ قتلوه دخل العراق كله في دوامة الدم كما يقول أبي دائمًا؛ لأن أبي مَلَكيٌّ في سلوكه ومعتقداته وإيمانه، وله باع فيما يسمونه (السياسة)" [13].

وقد وظف المؤلف استرجاع الابنة للربط بين أحداث القصة، وتناولها من منظور كل شخصية من شخصيات (عبد الرزاق الساعاتي)، فضلا عن الربط بين الزمن المسكوت عنه (عهد الملك فيصل الثاني) ولحظة السرد الآني، ومن ثم، فقد احتاج المؤلف إضاءة منطقة زمنية يحتاجها الحدث الروائي، إذ تناول المؤلف العصر الحالي، وسيطرة الدواعش على الموصل وغيرها، واقتيادهم عبد الرزاق إلى المحاكمة، والتنكيل به، في حين فرَّ كثير من العراقيين الذين تركوا العراق، وفرُّوا إلى خارج البلاد تاركين أهلهم وذويهم، على أمل اللحاق بهم في أقرب فرصة سانحة، وقد يكون الفرار داخل العراق نفسها، فغالبًا "ما يكون "قرار الفرار من القتال أو العنف الطائفي الملاذ الأخير الذي يتخذه الأشخاص أو العائلات رغبة منهم في تصحيح وضعهم الأمني"[14].

وكان للطائفية أثرها في تمزيق العراق على النحو الذي مهَّد لاضطهاد الدواعش المواطنين على أساس طائفي يفرق بين أبناء الوطن الواحد، مما عرَّ العراق لخطر داهم[15]

من هنا، لزم الرجوع للماضي لتأكيد حالة الاستقرار التي عاشتها العراق، وإلقاء الضوء على قتل ملكها في عمر الزهور للتأكيد على أن العراق والمنطقة العربية مستهدفة منذ زمن بعيد من القوى الإقليمية المتصارعة ومن يقف وراءها لتخريب المنطقة بأسرها.

المطلب الثاني: الاستباق

الاستباق، "أو الاستشراف الزمني أقل تواترًا من المحسن النقيض، وذلك في تقليد السردية الغربية على الأقل... والحكاية بضمير المتكلم أحسن ملائمة للاستشراف، من أي حكاية أخرى؛ وذلك بسبب طابعها الاستعادي المصرح به بالذات، والذي يرخص للسارد في تلميحات إلى المستقبل، ولاسيما إلى وضعه الراهن؛ لأن هذه التلميحات تشكل جزءًا من دوره نوعًا ما"[16].

وتبين الفقرة السابقة أن الاستباق، كما يدل عليه المصطلح، يتعلق بتلميحات تتناول أحداثًا مستقبلية، بسردها المؤلف؛ لهدف فني معين، يخدم البناء الدرامي للأحداث.

ويعرف مصطلح الاستباق في العديد من المصطلحات منها: اللواحق[17]، التنبؤ[18]، القبلية[19]، البعدية[20]، الاستشراف[21].

وجاءت تقنية الاستباق من خلال الارتداد للماضي في الرواية؛ إذ ارتدَّ السارد إلى الماضي ليتناول حال (سوق السراي) وشهرته التي جذبت الزائرين بحيث لم تفلح معه جهودهم في رصد ميزانية محددة للتسوق؛ نظرًا لتعدُّد المعروضات التي أبهرت الزائرين:

"احمرَّت أصابعي بما لا تطيق من أكياس المشتريات الطازجة؛ إذ أكون قد تبضَّعتُ ما لا يمكن توقُّعه قبل دخولي السوق بلحظات... هنا وُلِد مثل شعبي شهير يمكن تفصيحه بالصورة الآتية: الكلام خارج السوق غير الكلام داخل السوق، ومعناه: إن من يخطط لشراء أشياء محددة قبل ولوج السوق بما يتوافق مع ميزانيته وحاجته وتصوره الابتدائي، سيجد أنه بمجرد أن يخترق لدانة السوق يذوب التخطيط ويمَّحي، ويتحول إلى أسير السوق نفسه"[22].

تمثَّل الاستباق في قول السارد: سيجد أنه بمجرد أن يخترق لدانة السوق؛ لإبراز حالة الرواج التي تعيشها الموصل، وهو ما وظفه للمقارنة بين حال المدينة قبل قيام الدولة الإسلامية من قبل تنظيم (داعش) وما عانته المدينة من كساد تحت نير الحكم الديني أو المتشح بالدين.

ومهَّد المؤلف، بهذا الاستباق، لرواج حالته، وشهرته ذائعة الصيت في تصليح الساعات، واحتكاكه بالتنظيم، وتقديمه للمحاكمة على النحو الذي عوقب فيه بأشنع عقوبة.

كما تعالق هذا الاستباق مع أحداث الرواية التي عرضت للحكم الديني لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ككارثة حديثة عصفت بالعراق بعد الغزو الأمريكي، وهو ما كرَّرس للتواجد الأجنبي في العراق، وتدخله في شؤونها، على النحو الذي دمَّر تالبنية الاقتصادية للعراقيين تحت ذرائع وهمية، حتى اضطر المثقفون العراقيون إلى بيع كتبهم، فوجدوا أنفسهم يبيعونها رخيصة ليشتروا الطعام والحاجيات الأساسية"[23]، وقد رأوا "كتبهم وقد اشتراها موظفو الأمم المتحدة لأخذها إلى بيوتهم تذكارات"[24]

وجاء الاستباق على لسان (سمر) ابنة عبد الرزاق الساعاتي، والتي أحبت الملك فيصل الثاني، وأعجبت به إعجابًا ملك عليها نفسها:

"وجهٌ يشعِرُك على الفور بقربه منك حتى لتتعلق به فورًا بلا حواجز ولا مصدَّات ولا تفسيرات، لو كان حيًّا كنتُ سأخاف فقط من أن كل الشابات العراقيات وغير العراقيات يمكن أن يحببنه مثلي أو أكثر مني"[25].

وجاء الاستباق أعلاه افتراضيًّا يعتمد على توقع حدث مستقبلي افتراضي نابع من مساحة الإعجاب المبالغ فيها من الابنة تجاه الملك فيصل الراحل، والذي تأسَّفت سمر لموته كثيرًا، ولم تغتفر لأبيها اتفاق يوم مولده مع يوم مقتل الملك.

وظف المؤلف هذه التقنية في سياق المقارنة بين عهد الملكية السابق وما بعده حتى العصر الحديث، وهو ما تناول فيه مظاهر الإرهاب الفكري والجسدي على يد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وقصد بذلك فضح الممارسات والفظائع التي ارتكبها التنظيم إبَّان سيطرته على أجزاء من العراق وغيرها، وتوثيق إرهاصات انقسام المنطقة العربية، والعراق بصورة خاصة تحت مطرقة الفتنة الطائفية من ناحية، وسندان العنف المسلَّح الذي يتستَّر بستار الدين من ناحية أخرى.

وجاء الاستباق مقرونًا بحلم الحصول على الجنسية الألمانية، وتخلِّي (سلَّام عبد الرزاق عيد) عن قضية وطنه، واندفاعه للفرار والإقامة في ألمانيا، وخصوصًا بعد أن عرضت عليه مندوبة شؤون اللاجئين الزواج؛ ليتسنى له طلب الإقامة، ثم الحصول على الجنسية:

"أدركتُ الآن أن دعاء الوالدة لم يذهب سدى، وهاهو يتحقق على أفضل وأمثل ما يكون، كم أنا محظوظ بهذه المرأة المليئة بالحنان والحب، سأخلِص لها، وستكون أم أولادي بإذن الله"[26].

واعتمد المؤلف على تقنية الاستباق التي تبدت في توقع (سلام) أن يتزوج المرأة الألمانية، وأن ينجب منها، وهو ما أبرز مخاوف شريحة كبيرة من العراقيين الإقامة في وطنهم؛ حيث تتعدد المصاعب والعراقيل في سبيل تحقيق الطموح، فضلا عن انعدام الأمن بعد أن كانت جماهير الشعب العراقي تعتقد أن الأمريكان جاؤوا لمساعدة العراقيين للتخلص من صدام، وهي لا تحمل أي ضغينة أو مشاعر كراهية لهم"[27]، ثم ما لبثوا أن ساعدوا على إنشاء الدولة الإسلامية (داعش) ثم داهموا العراق مرة أخرى بحجة اقتلاع تنظيم الدولة، وقصفوا البلاد مما دمر كثيرا من المنشآت، كجسر الموصل الشهير على نحو ما أوردنا من قبل.

كان محمد صابر عبيد بحاجة إلى التوقف قليلًا لسبر أغوار النفس البشرية حالما تشعر بالخطر الداهم، وما في ذلك من اقتلاع لمنابت الإنسانية والانتماء من تربتها، فلا تلبث أن تتشبث بأول يد ممدودة لها، ولا تلقي بالًا لمفهوم الوطن أو غيره مما مثَّلته شخصية (سلام).

المبحث الثاني: الإيقاع الزمني

المطلب الأول: تسريع السرد

إذ يلجأ المؤلف لتسريع وتيرة الزمن، فيقوم بـ (تلخيص) أحداث طويلة زمنيًّا في حيز بسيط، و تفيد تقنية التلخيص في معرفة العلاقة بين القصَّة والسَّرد (الإيقاع الزمني)، ويعني تلخيص فترة زمنية طويلة في كلماتٍ قليلة، بما يسمى عملية الخلاصة أو تسريع الحدث[28]، ويسميه الناقد الفرنسي" جنيت" : المجمل[29].

وجاءت تقنية (التلخيص) لتسريع وتيرة الزمن في رواية (خطأ مقصود) عمد المؤلف بواسطتها إلى اختزال أحداث متعاقبة، منها اعتقال (عماد) ابن عبد الرازق، وأخي سمر:

"**مضى على سجن عماد أسبوع، وأنا أسمع من الدكتور (جاسم) يوميًّا خبرًا مختلفًا عنه، الرجل ينقل لي ما يستطيع الحصول عليه من أخبار حوله وهو أيضًا حائر، ولا يعرف ماذا يفعل ولا ماذا يقول، فمن الصعوبة البالغة الوثوق بأحد أو تصديق خبر معين في مناخ مأسوي بالغ السوء لا ينجو أحد من غباره اللزج المقيت، وأخيرًا جاءني بخبر أكد لي صحته من مصادر قال: إنها موثوقة جدًا، يقول: عماد متهم بتهمة خطيرة جدًّا، هي التخابر مع جهات أجنبية معادية لهم، ومحاولته إنقاذ سبيَّة أيزيدية حاولت الهروب منهم، وضبطوه يحاول إنقاذها بعد اتصال هاتفي جاءه من أخيها في ألمانيا**"[30].

إذ نلاحظ انكماش حيّز السرد، في بداية الفقرة، والذي اختزل به المؤلف أحداث أسبوع كامل من محاولات سمر وجارها الدكتور (جاسم) للتعرُّف على تهمة أخيها (عماد) وظروف اعتقاله، في مقابل انبساط مساحة السرد، وتفصيل التهمة التي وجهها تنظيم (داعش) للأخ.

وظف المؤلف تقنية تسريع السرد، في مقابل عودته لمساحته الزمنية الطبيعية؛ لتأكيد ممارسات التنظيم الذي تفنَّن في إلقاء التهم، وتوزيعها على الأبرياء بلا ذنب، وهو ما لم يخلُ من دلالات قصدها المؤلف، جاءت تهمة التخابر مع جهات أجنبية في صدارة التهم التي حرص التنظيم على توجيهها للمشتبه فيهم، كتهمة جاهزة تعكس شعور التنظيم بعداء المجتمع الدولي له، ومن ثم، تنتهج التنكيل بكل من له علاقة بشخص خارج العراق.

كذلك، نلاحظ أن سرعة وقوع (عماد) في قبضة التنظيم بواسطة التنصُّت على مكالمته الهاتفية الواردة من (ألمانيا) يشير إلى أن كوادر التنظيم ليست كما يرتسم في أذهان العامة، كرجال دين مقاتلين في سبيل قضية معينة، بل تؤكد تلقيهم تدريبًا خاصًّا يمكِّنهم من السيطرة على مفاصل الدولة، وهو ما يشي بأصابع خفية من وراء الستار قامت بهذه المهمة.

وجاء ملف حقوق الإنسان، في نهاية الفقرة، يدين الممارسات التي مارسها أعضاء التنظيم إزاء غير المسلمين، فاستباحوا أعراض غير المسلمات، من الأيزيديات وغيرهن، وهو ما مثل رِدَّة ثقافية لعصور ما قبل الدولة الحديثة.

فضح الطرح الفكري للمؤلف في الرواية أطراف مؤامرة على المنطقة من الخارج، نفذتها أيادٍ عربية تنتمي إلى الأرض شكلًا، وإن باعت نفسها لمن استأجرها: عقيدة ومضمونًا

ولجأ المؤلف لتسريع السرد، بواسطة تقنية (الحذف)، وإسقاط فترة زمنية طويلة أو قصيرة، من زمن الحكاية، ولجأ إليه محمد صابر عبيد، كنوع من الحذف غير المعلن، أي: المحدد[31]، في سياق

تناوله شخصية (فوزية الأمين) الموظفة في مكتب بريد بغداد، والتي قررت أن تفتح أربع رسائل واردة من (سلام)، في ألمانيا، لأفراد أسرته:

"اقترح عليَّ زوجي استنساخ الرسائل (فوتو كوبي)، وإعادتها إلى محضنها الأصلي في خزينة البريد؛ حتى أتخلص مما ينتابني من قلق تجاه وجودها المغتصب في بيتنا، وافقتُ على الفور، واستنسختُها، ثم أعدتُها إلى مكانها في الدائرة"[32].

وقد أسقط المؤلف فترات زمنية في الفقرة، ولجأ فيها لحذف كيفية استنساخ الرسائل (فوتو كوبي)، والفترة التي وقعت بين الاستنساخ، ثم ذهاب فوزية الأمين لدائرة بريد بغداد في اليوم التالي، وهو ما لم يُفِد في بناء الحدث فنيًّا.

وظف المؤلف هذه التقنية لتقرير أن حالة انعدام الوعي، والفوضى المستترة وراء الدين في الموصل خصوصًا، والعراق عمومًا، قد تزامنت مع غياب الشعور بالثوابت، فكان من السهل أن تجد الموظفة المؤتَمنة على الرسائل الذريعة للاطلاع على ما فيها، وقد علمت أنها مرسلة للموصل، فتعلَّلت باحتياج زوجها لتفصيلات جديدة لروايته التي تدور حول الأسيرات من الأيزيديات في قبضة تنظيم (داعش)، وهو ما برَّر ما فعلته.

عكست الفقرة حجم الاضطراب النفسي الذي سيطر على العراقيين، وغياب الوازع الأخلاقي والديني الذي يمثل الثابت المجتمعي الرئيس منذ عصور التاريخ الأولى[33]، وفقدان الحياة لقيمتها؛ إذ عانى الوطن من ضربات متتالية أفقدت المجتمع توازنه، وثباته الانفعاليّ.

المطلب الثاني: إبطاء السرد

يلجأ المؤلف لإبطاء وتيرة السرد، ويكون ذلك باللجوء لتقنية (المشهد)، ومن ثم، فإن تقنية المشهد من التقنيات التي تساعد الراوي على إبطاء السرد القصصيّ، وتُعرَّف بأنها: العملية التي من خلالها يستطيع الراوي اختيار المواقف المهمة من الأحداث القصصية، وعرضها عرضًا مسرحيًا مفصلًا[34]، ويكون زمن الخطاب، وزمن القصة متساويين[35]، ومن ثم، تأتي وتيرة (المشهد) في سرعة وزمن النص السردي من خلال العلاقة بين المدة التي تستغرقها الأحداث وبين طول النص (عدد أسطره أو صفحاته)[36]. ولجأ المؤلف لتقنية المشهد لإبطاء السرد في سياق الحديث بين (عبد الرازق) والحاج (حازم الساعاتي):

"العم (حازم الساعاتي) كان من الذكاء بمكان بحيث يلمح فيَّ دائما ما لا يلمحه الآخرون:

- ابني عبد الرزاق، أنت ولد ذكي جدًّا، مؤدب نشيط وأمين، تأكد بأنني أعتمد عليك في المحل أكثر مما أعتمد على ولدي (نادر).

- **عمي، (نادر) أيضًا ذكي، وأنا أحبه كثيرًا، وفيه الصفات الجيدة العديدة.. أرجوك، لا تفضلني عليه.**
- **هذا بالذات ما يعجبني فيك.. صدقك.. أقرأ الصدق في كلامك وأنت تتكلم عن (نادر) بلا نفاق ولا هدف التقرب مني"**[37].

ناسب الحوار الوارد في المشهد أعلاه العلاقة الخاصة التي جمعت بين عبد الرزاق وحازم الساعاتي، وعمد بواسطته المؤلف لتناول خصوصية تلك العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل بين الطرفين، وكأن السارد يمهِّد للقارئ رغبته في الاقتران بإحدى بنات العم حازم؛ إذ كانت له ثلاث بنات منهن من تصلح للزواج بالتأكيد، فضلًا عن الخبرة الكبيرة التي اكتسبها السارد من عمله بمحل العم حازم.

أما على المدى الزمني البعيد روائيًّا، فقد وظف المؤلف الحوار الوارد للتأكيد على حالة الاستقرار، وتلقائية الأحداث التي مرَّ بها البطل قبل أن تقع الموصل في قبضة الدواعش، ويتم تقديمه للمحاكمة بتهمة اللجوء لـ (السحر) في تصليح الساعات، مما احتاج إلى التقنية نفسها لتفصيل المحاكمة أمام قاضي الدواعش:

" – أين تعلمت السحر أيها الساحر؟

- **معاذ الله، لستُ ساحرًا، ولا علاقة لي بالسحر.**
- **إذن، كيف تفسِّر لنا طريقتك في تصليح الساعات علميًّا؟**
- **لا أعرف، هذه هبة من الله سبحانه، ولا أجد لها تفسيرًا سوى أن الله أكرمني بهذه القدرة، إنه على كل شئ قدير"**[38].

ونلاحظ أن المؤلف قصد إبطاء السرد في هذا المشهد لتناول آلية التستر وراء الدين والعلم كقناع يخفي ما وراءه من الممارسات السلطوية باسم الدين والعلم، ومن ثم، جاء طلب القاضي من الأب توضيح كيفية التعامل مع أعطال الساعات من منظور لا يقبل الشرح بل التعليم؛ إذ المهارة الشديدة في التصليح شأنها كغيرها من الحرف التي يكتسبها العامل بالتعلُّم على من هم أقدم منه.

أبرز المؤلف؛ بواسطة هذه التقنية، ما ورائيات التنظيم الداعشي فكريًّا، فكشف عن توجُّههم لتلفيق التهم للمخالفين أو المشتبه في مخالفتهم لقواعد التنظيم؛ خشية أن يفقدوا ما يبرر وجودهم، ويشرعن ممارساتهم الجائرة التي لا علاقة لها بالدين.

ولجأ المؤلف لإبطاء السرد بواسطة تقنية المشهد؛ لإلقاء الضوء على مهارة الأب في تصليح الساعات، وانبهار السويسريين به؛ إذ عدُّوا ذلك إحدى المعجزات:

" **قال لي المترجم: السيد يقول: الآن، أخبرني بالضبط وبالتفصيل، ماذا فعلتَ أيها الساحر؟ قلتُ له: الأمر بسيط، أحرّك أصابعي على أي ساعة عاطلة لتأتي سبابتي ماشرة إلى العطل فأصلحه فورًا، حين سمع المسؤول هذا الكلام نهض فزِعًا من مقعده قائلا: أخبرني: كيف؟**"[39].

ونلاحظ أن المؤلف قد عمد إلى تفصيل ما قابله الأب أثناء الدورة التدريبية التي ألحِق بها في الخارج، فذكر التفصيلات الدقيقة لما قابله هناك، والتي جاءت في ثنايا الخطاب الذي أرسله لابنته (سمر).

وظف المؤلف هذه التقنية لتناول طبيعة المهارة التي امتلكها الوالد في تصليح الساعات، وعدم احتياجه للخرائط التي تُرفَق بكل ساعة، بل يعتمد على (لمس) الساعة بإصبعه؛ ليتعرَّف على منطقة الخلل، فيقوم بإصلاحه، وقد تعمد ذكر ردِّ فعل المسؤول الأجنبي عن تصليح الساعات؛ ليربط القارئ بينه وبين رد فعل القاضي الداعشي الذي اتهم الأب بالسحر، فأصدر عليه حكمًا شنيعًا بقطع لسانه، ورماه بالكفر.

بدا المؤلف يفارق بين ثقافتين: الأولى تعتز بالموهبة، وتعزوها إلى الخالق سبحانه في مقابل الثانية التي تعدُّها خروجًا على النواميس الكونية، وتجديفًا على الشريعة، مما يمثِّل ظاهرة (العنف السياسي) إلى هدف استراتيجي للسيطرة على مقدرات الأمور باسم الدين[40]، وهو ما يضع المتلقي أمام ممارسة فطرية في الأولى، ومؤسساتية ثيوقراطية تتستر بالدين من دون فهمه في الثانية، وهو ما اقترن بإدانة غير صريحة من محمد صابر عبيد؛ إذ ترك القارئ يحكم بنفسه.

إبطاء السرد:

ولجأ المؤلف لإبطاء السرد في معرض تناوله للتركيبة النفسية لشخصية (عماد)، ابن عبد الرزاق الساعاتي، واتخذ من مذكرات الشخصية وسيلة للتركيز على دواخلها النفسية:

"**لو كان يوجد في مدينتي طبيب متخصص لعلاج العقد النفسية، من هذا النوع، لراجعتُهُ، وعرفتُ ما بي، وما هي مشكلتي، لكن ثقافة الطبيب النفساني عندنا غير موجودة؛ لأن عيادات الأطباء النفسانيين بحسب الثقافة الشعبية السائدة لا يزورها سوى المجانين، فكيف أجرؤ على مراجعة طبيب نفسي، في حالة وجوده؛ كي أتعالج من هذا الداء المريب؟**"[41].

وجاء إبطاء السرد مقرونًا بتقنية (الوصف) [42] إذ تناول المؤلف وصف المشاعر النفسية لشخصية (عماد)؛ لطرح قضية مهمة تتعلق بثقافة المجتمع، وتتمثَّل في مراجعة الشخص لطبيب نفسي، والتي تُقابَل من كثيرين باستهجان وسخرية، واتهام المريض النفسي بالجنون، ونلاحظ أن المؤلف قد عزا ذلك، على لسان الشخصية، لنمط سائد من الثقافة الشعبية التي تحيط أيضًا بالتشكُّلات البشرية، حيث يكون الكل أكبر من مجموع العناصر"[43]، فيتحكم العقل الجمعي في الفرد، ويطوِّعه في اتجاهه السائد.

واعتمد المؤلف على تقنية المشهد لإبطاء السرد، في سياق تناوله شخصية (سلام)، ابن عبد الرزاق الساعاتي، وقد فرَّ إلى أحد معسكرات اللجوء في (ألمانيا)، ورغب في الحصول على الجنسية الألمانية:

"- **هل تريد أن تترك هذا المعسكر، وتعيش حياة طبيعية في (برلين)؟**

- **الله يحفظك، وهل يوجد مجنون في هذا العالم يرفض ذلك؟**

أنا سلام عبد الرزاق عيد، اللاجئ العراقي في أحد معسكرات اللجوء في ألمانيا، أقول بكامل قواي العقلية: إنني أرغب بترك هذا المعسكر، والعيش بصورة طبيعية في هذا البلد المحفوظ"[44].

وكان من الاحتياج بمكان الحوار الوارد أعلاه لإبراز سمة شخصية في (سلام عبد الرزاق)، وهي التخلي عن الشعارات الرنانة التي لا تفيد، والتوجه إلى تحقيق الطموحات بعيدا عن الوطن الذي قصد المؤلف التركيز على نظرة من فيه إليه على النحو الذي يعبر عن كثيرين ممن فروا من الحكم الداعشي، والفتن الطائفية، وظروف البلد غير المستقرة، ولنا أن نتأمل قول سلام: العيش بصورة طبيعية في هذا البلد المحفوظ؛ للوقوف على الخوف الذي سيطر على العراقيين في بلدهم، فراحوا يبحثون عن أوطان بديلة تتمتع بالاستقرار والأمن.

الخاتمة

أهم **النتائج التي توصلنا إليها:**

1- يختلف الزمن في الرواية عن الزمن خارجها؛ إذ يتعلق الزمن الروائي بشعور الشخصيات الرواية بالزمن وفق ترتيب الأحداث في محيط الزمن الذي تقع فيه الرواية، تمامًا كشعور القارئ بزمنه الحقيقي.

2- تتعلق تقنيات الزمن بمفهوم الزمن الروائي؛ إذ تقوم على قدرة الشخصية على استعادة ماضيها أو استباق الحدث بتوقُّع للمستقبل، وهو ما يتعلق بالشخصية التي تشبه نظيرتها في الواقع.

أما الإيقاع الزمني، فإنه يتعلق بالمؤلف الذي تكون له القدرة على إبطاء السرد أو تسريعه.

3- تعلَّقت أحداث الرواية بأحوال العراق في العصر الحديث، وهو المحور الذي سيطر على أحداث الرواية، فتناول المؤلف ممارسات تنظيم الدولة الإسلامية المعروف إعلاميًّا باسم (داعش)، وسياساتها في مدينة (الموصل) وغيرها مما خضع لحكم التنظيم.

4- اعتمد المؤلف على تقنية الاسترجاع في الرواية؛ لاستعادة أحداث ماضية تعالقت مع الحدث المسرود، وهو ما وظفه المؤلف لتناول وجهة نظر الخاضعين لحكم تنظيم الدولة، وإبراز وجهات نظرهم إزاء ممارساتها السلطوية المستبدة.

5- أبرزت تقنية الاسترجاع الصراع الطائفي في العراق، وسلَّطت الضوء على قضية الأكراد كقضية استعصت على الحل من قبل الحومات العراقية المتعاقبة، ومال محمد صابر عبيد إلى إدانة الطائفية بكل أشكالها.

6- ركز المؤلف على كساد الأحوال في العراق بعد استهدافها في العصر الحديث، فمن تدخلات أمريكية تحت ذرائع مختلفة إلى ممارسات طائفية ممنهجة لتفتيت المدينة وصولًا لحكم الدولة الإسلامية (داعش)، وهو ما ناسبه تقنية (الاسترجاع) للمقارنة بين العهد الملكي والجمهوري، وشعر المتلقي بميل المؤلف للعهد الملكي لتميُّزه بالاستقرار.

7- جاءت تقنية الاستباق تمهِّد فنيًّا للحدث بخلاف تقنية الاسترجاع التي حظيت بدور فني أكبر في بناء الرواية، في حين أدَّى الاستباق وظيفة افتراض وقوع الحدث لا وقوعه فعلًا.

8- اقترنت تقنية الاستباق بمنحى اقتصادي ملفت؛ إذ عبَّر عن استهجان المؤلف للوضع الاقتصادي الكارثي الذي آلت إليه أحوال العراق، فكسدت الأسواق والحِرَف، فضلًا عن حرفة الصيد، فأغلقت المطاعم الشعبية التي كانت تقدم الأسماك للزائرين.

9- جاءت تقنية (التلخيص) آلية لتسريع السرد في الرواية، فاختزل المؤلف بواسطتها أحداثًا عديدة احتاج إلى إلقاء الضوء عليها مما وقع في الماضي، أو لعدم فائدتها فنيًّا، كاعتقال التنظيم لعماد بن عبد الرزاق الساعاتي.

10- لجأ المؤلف لتقنية الحذف بهدف تسريع الحكي؛ إذ عمد إلى إسقاط فترة زمنية من زمن الحكاية، ووظفها في سياق تناول السلوكيات غير المنضبطة للعراقيين، وتمثَّل في شخصية (فوزية الأمين) التي برَّرت الاطلاع على رسائل (سلَّام) للأسرة، كنموذج لتلك الممارسات غير المسؤولة.

11- اعتمد المؤلف على تقنية (المشهد) كثيرًا لإبطاء السرد؛ إذ احتاج إلى تناول تفصيلات تفيد البناء الروائي، كتناول علاقة عبد الرزاق بالعم (حازم الساعاتي) عن كثب، بما مهَّد لتعريف المتلقي برغبته في مصاهرة العم، أو التركيز على تفصيلات محاكمة الساعاتي أمام قاضي داعش، وتسليط الضوء على آلية تلفيق التهم للقضاء على المناوئين أو من تجمعهم أية علاقة بشخص خارج العراق.

12- مال المؤلف عمومًا إلى إدانة التستر وراء الدين أيًّا كان توجُّهه، وحملت الرواية إدانة اضحة من المؤلف للحكم باسم الدين؛ لكذب مزاعمه، وسوء مراميه، وادعائه التسامح والتمسك بأحكام الدين في حين يتسم، في حقيقته، بالجمود وضيق الأفق، فضلًا عن النظرة المسطَّحة التي ترى في المخالفين خارجين على الدين نفسه على النحو الذي يخالف جميع ما ورد عن النبي، ص، وآل بيته، والصحابة الأطهار.

المصادر والمراجع

1- برنس، جيرالد، قاموس السرديات، تحقيق: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003م.

2- جينيت، جيرار، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم – عبد الجليل الأزدي–عمر حلى، المشروع القومي للترجمة، ط2، 1997م.

3- جينيت، جيرار، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم – عبد الجليل الأزدي – عمر حلى، المشروع القومي للترجمة، ط2، 1997م.

4- حمودي، اريج كنعان، تمثلات الواقع ومشاكله في الرواية: قراءة في المنجز العراقي بعد عام 2003م، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، عدد خاص ببحوث المؤتمر العالمي الأول لقسم اللغة العربية، 2016م.

5- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991م.

6- سنوات الحصار: السجل الأسود للأمريكان في العراق(1991م–2003م)، منشورات الطليعة، 2004م.

7- سويرتي، محمد، النقد البنيوي والنص الروائي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، (د.ت).

8- عبد الله، عدنان خالد، النقد التطبيقي التحليلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، (د.ت).

9- عبيد، محمد صابر، خطأ مقصود، تونس:دار الشنفري، ط1، 2024م.

10- علاء الدين، رانج، الطائفية والحوكمة ومستقبل العراق، دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكجنز الدوحة، أكتوبر 2018م.

11- علي، عواد، تقنيات الزمن في السرد القصصي من زمن التخييل الى زمن الخطاب، بغداد، ع44، 1992م.

12- العيد، يمنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط3، 2010م.

13- القاضي، محمد، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2003م.

14- قطُّوس، بسّام، دليل النظرية النقدية المعاصرة، مطبوع بمعرفة المؤلف.

15- مايكل أوترمان–ريتشارد هيل– بول ويلسون، محو العراق، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2011م.

16- مبروك، مراد عبد الرحمن، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط1، (د.ت).

17- موير إدوين، بناء الرواية، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، مراجعة: عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ط). (د.ت).

18- ميكشيللي، أليكس، الهوية، ترجمة: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، 1993م.

19- أبو ناضر، موريس، الألسنية والنقد الادبي في التنظير والممارسة، دار النهار، بيروت، ط 1، 1979م.

20- نشرة الهجرة القسرية: العراق–أزمة النزوح والتهجير والبحث عن الحلول، مركز دراسات اللاجئين، جامعة أكسفورد، (د.ت).

21- نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، ط1، 2005م.

22- ويليك رينيه، نظرية الأدب، تعريب: عادل سلامة، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت).

23- يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 2015م.